العرب
الإثنين 2020/04/06
السنة 42 العدد 11669

دولة الولي الفقيه هل تختفي بعد العاصفة؟

فاروق يوسف
كاتب عراقي

بعد أن سقط أكثر من ستين ألفا من البشر موتى لا يمكن الاستهانة بالحرب الدفاعية التي تقاوم البشرية من خلالها فايروسا، لا تزال إمكانية القضاء عليه مرهونة بتجارب وبحوث مختبرية لن تعلن نتائجها في وقت قريب.

حرب غير مسبوقة سواء من جهة نوعها أو من جهة رقعتها الجغرافية كشفت عن عيوب خطيرة في تقنيات دفاع الإنسان عن نفسه. لم يكن الاطمئنان القديم في محله. لقد تبين أن جبهة الإنسان بكل تحصيناتها كانت ممكنة الاختراق.

ذلك ما يجعلنا نعيد النظر في مسألة وجودنا على مستويات متعددة.

فإذا كانت القطاعات الصحية في دول متطورة كإيطاليا وإسبانيا والولايات المتحدة، تسعى إلى إبعاد شبح الانهيار عنها بصعوبة، فهل يمكن التعويل على دول، قطاعاتها الصحية منهارة ولا تؤدي واجبها اليومي في علاج الأفراد بشكل صحيح؟

من المتوقع أن يؤدي فشل النظام الإيراني في مواجهة الوباء العالمي إلى تفكيك دولة الولي الفقيه وهو ما يعني عمليا نهاية الدولة الزائفة في إيران

إيران تقف في مقدمة تلك الدول، وتليها دول عربية عديدة تعاني أصلا من تخلف وفقر قطاعاتها الصحية. وإذا كان كذب إيران في إحصاءاتها قد صار مفضوحا بالنسبة للعالم بسبب كونها بؤرة وباء، فإن دولة كالعراق تم تطبيع الموت فيها لا يمكن أن تكون أرقامها مصدر ثقة.

فالقطاع الصحي في العراق وفق المعطيات المعروفة لا يمكنه أن يتصدى لأمراض البرد العادية، فكيف به وهو يواجه مرضا يضرب الرئة ويقضي على فريسته في وقت قصير؟

عمليا فإن القطاع الصحي تهاوى في العديد من الدول ولم يعد قادرا على تقديم أقل الخدمات نفعا للمرضى. ليست هناك أسرّة كافية. كما أن غرف الإنعاش تكاد تكون مفقودة. أما أجهزة التنفس فلا يمكن التفكير بوجودها.

لم تكن تلك الدول مستعدة لحماية الأفراد وعلاجهم لذلك اكتفت بالاستعراض الإعلامي وهي تقف مكتوفة الأيدي أمام وباء جعل المجتمع كله مريضا.

ما صار جليا بعد مرور حوالي ثلاثة أشهر على ظهور الوباء العالمي أن المجتمعات تحتاج إلى وجود الدولة القوية بمفهومها الجذري الحقيقي، لا لأن تلك الدولة تدرأ الأخطار الصحية فحسب، بل وأيضا لأنها تكون مستعدة للتعامل مع تداعيات ما بعد الأزمة والتي تتعلق بالاقتصاد بشكل خاص.

ذلك امتحان حقيقي ستجتازه الدول الحقيقية بصعوبة، أما الدول الزائفة وقد سلمت شعوبها للموت المجاني فإنها ستتشبث برجاء الاعتراف الدولي بها باعتبارها دولا على الورق. أما واقعيا فإنها لا تستحق حتى ذلك الاعتراف الذي لا يقدم ولا يؤخر.

أكثر من 190 دولة لها سفراء في الجمعية العامة للأمم المتحدة. ذلك الرقم يجعل اجتماعات تلك المنظمة أشبه بالحفلة التنكرية. أعتقد أن هناك حاجة إلى أن يكون الرقم كبيرا من أجل تسويغ رعاية المنظمة لمشروع السلم العالمي الذي لا تعترف به دول عديدة.

السلم هو آخر ما تفكر فيه دولة مثل إيران.

إيران دولة معترف بها دوليا وهي عضو في الجمعية العامة للأمم المتحدة، غير أنها لا تعترف عمليا بميثاق تلك المنظمة الدولية، كما أن طريقتها في التصدي لوباء كورونا كشفت عن أنها الدولة الأقل شعورا بالمسؤولية. لقد صدّرت إيران الفايروس إلى الدول المجاورة لها مستغلة سطوة ميليشياتها على تلك الدول.

ولكن إيران، بالفايروس أو من غيره، ليست دولة حقيقية ولا تستحق أن تكون عضوا في الأمم المتحدة. فهي أولا دولة حرب ولا تحافظ على السلام الدولي، وهي ثانيا تعرض أمن وسلامة مواطنيها لمختلف أنواع الأخطار بحثا عن منافع سياسية. ناهيك عن أنها لا تحترم الأعراف الدبلوماسية.

وفي مواجهة وباء كورونا لا تملك إيران سوى الحرس الثوري.

قد ينقذها العالم من خلال مدّ يد المساعدة إليها ولكن الحقيقة تظل شاخصة. تلك دولة يمكن أن تختفي في سنوات ما بعد العاصفة.

هناك شعوب في إيران تناضل من أجل تقرير المصير. عرب وأكراد وأذريون يجمعون على زوال سلطة الفرس.

من المتوقع أن يؤدي فشل النظام الإيراني في مواجهة الوباء العالمي إلى تفكيك دولة الولي الفقيه وهو ما يعني عمليا نهاية الدولة الزائفة في إيران.

بغداد المختطفة

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

التاسع من أبريل 2003 ليس حدثا عسكريا وسياسيا عابرا في حياة شعب العراق، بل يحمل دلالات كثيرة. ففي هذا التاريخ سقطت دولة العراق الحديثة وتم اختطاف بغداد على يد المغول الجدد في واشنطن وطهران، وما زالت أسيرة لنظام الولي الفقيه المتخلف الذي يحمل دوافع المغول ذاتها في الحقد التاريخي على العرب.

سقوط بغداد العسكري عام 2003 يعيد للذاكرة نهاية دولة الخلافة الإسلامية العباسية على يد المغول عام 1258 ميلاديا، لتشابه الدوافع والأهداف رغم المسافة الزمنية بين التاريخين، واختلاف هوية المحتلين تبعا للزمان. فقد كانت عيون قادة المغول على الدولة العربية وامتداداتها في آسيا والشرق، وقد تملكهم طغيان القوة والهمجية والحقد على العرب فاجتاحوا بغداد عاصمة الدولة العربية الإسلامية.

الهدف التدميري كان واحدا، فقد حرق القائد المغولي هولاكو بغداد وقتل أكثر من مليون إنسان في مقدمتهم العلماء والفلاسفة وموروثهم من عشرات الآلاف من الكتب التي رميت في نهر دجلة، مثلما نفذه المحتلون الأميركان خلال الاجتياح من قصف جميع مقومات الحياة بما فيها الكهرباء والماء والصحة، وقتل أبرز علماء الفيزياء والكيمياء وقادة الجيش والمواطنين، ونهب المتاحف والبنوك الذي مهّد للنهب المنظّم الذي نفذته مافيات الأحزاب الموالية لإيران في ما بعد العام 2003.

التشابه الأكثر إيلاما بين الزمنين المتباعدين استخدام أدلاء الخيانة من قبل المغول وأبرزهم رئيس ديوان الخلافة الوزير، مؤيدالدين العلقمي، الذي كشف للقائد المغولي هولاكو مكامن الضعف السياسي والعسكري في الدولة وسهّل له الطريق. ذات الخيانة والعمالة تحققت مع المحتلين الأميركان قبيل اجتياحهم، حيث قام عدد من المأجورين العراقيين بتسويق أكذوبة "أسلحة الدمار الشامل" في الأوساط الدولية إلى جانب عملاء الداخل ورعيل الجواسيس، حيث وزعت عليهم الآلاف من أجهزة تلفونات "الثريا" كأدلاء لتدمير المواقع الاستراتيجية في الضربات الجوية على بغداد خاصة. هؤلاء وغيرهم اليوم يتبجحون بمعاداة أميركا لا لسبب سوى لأن طهران تريد ذلك، فالخيانة واحدة وإن تعددت أشكالها.

المغول الذين استباحوا بغداد عام 1258 هم أنفسهم الذين اختطفوها عام 2003 مع تبدل العناوين والأسماء. القوات الأميركية اجتاحت العراق وأعلنت احتلاله يوم برقعت وجه تمثال صدام حسين بالعلم الأميركي ببغداد. عرب العراق قاوموا الاحتلال بالسلاح وقوبلوا بالقتل والاعتقال والتغييب تحت تهمة الإرهاب باشتراك وتواطؤ بين المحتل الأميركي والحرس الثوري الإيراني والمنظمات الشيعية الوافدة، بعد تنفيذها فتوى مرجعيتهم بعدم مقاومته عسكريا، لاستكمال صفقة تسليمهم السلطة مدنيا ثم اختطاف بغداد من قبل نظام ولي الفقيه الإيراني.

قبل انسحاب القوات الأميركية من العراق عام 2011 كانت السياسة الأولى المعادية لشعب العراق التي نفذتها هي إشاعة الفوضى بعد حل الجيش العراقي ومؤسساته الأمنية لتسهيل انتهاكات حقوق الإنسان خصوصا في مناطق المقاومة المسلحة مثل الفلوجة وجرف الصخر وبيجي والمدائن ومناطق أخرى، بالإضافة إلى جرائم الميليشيات والجماعات المتطرفة التي ارتكبت أبشع المجازر ما بين 2005 و2014 وتمت تغذيتها بالخطابات الطائفية لرئيسي الوزراء إبراهيم الجعفري ونوري المالكي.

فرق الموت التي أسستها وكالة المخابرات الأميركية من خلال خبرتها في أميركا اللاتينية لبناء قواعد تحتية لحرب طائفية أرادتها الولايات المتحدة للعراق تسلمها في ما بعد وكلاء طهران من خلال منظماتهم التي دخلت العراق مثل بدر وثأر الله والجناح العسكري لحزب الدعوة إلى جانب جيش المهدي، بإدارة وتنسيق الحرس الثوري الإيراني الذي أسس له في الأيام الأولى قواعد في كربلاء والبصرة. وفضائح المثقاب في تعذيب وقتل معتقلي وزارة الداخلية معروفة، ثم تابعت فرق الموت تنفيذ مسلسل القتل والتعذيب تحت قيادة الجيل الثاني من الميليشيات المسلحة التي أصبحت لديها مئات المعتقلات.

الجانب الأخطر في البرنامج الطائفي الفوضوي الذي زرعه المحتلون الأميركان ونفذته أدوات إيران في العراق بعد استكمال تصفية القوى البشرية المتمثلة بالنخب العلمية مثلما فعل هولاكو ببغداد هو تدمير جميع مرتكزات البنى التحتية، فأغلقت وفككت المصانع العسكرية والمدنية في العراق وقامت بتهريبها إلى إيران وبعلم المحتل الأميركي.

حكايات مسلسل استباحة العراق وعاصمته بغداد كثيرة ومؤلمة تمت بشراكة أميركية إيرانية، ثم بانفراد إيراني. اقتصاديا تم تدمير ونهب ثرواته منذ اللحظات الأولى للاحتلال، نتذكر تصريحات الأخوين محمد وعبدالعزيز الحكيم اللذين طالبا بتعويض العراق للنظام الإيراني عن خسائره في الحرب العراقية الإيرانية التي تبلغ 200 مليار دولار، مع الاحتفاظ بقيم الغنائم الخاصة بالطائرات العراقية والمدنية التي أودعها العراق أمانة في إيران عام 1991.

كذلك يتذكر الكثيرون حكاية الكنز البالغ 20 مليار دولار الذي تحفظت عليه حكومة واشنطن في عهد جورج بوش الابن من مبيعات العراق السابقة في إطار برنامج النفط مقابل الغذاء، ثم حولته إلى بغداد بعد عام 2003، ولم يعرف مصيره لعشر سنوات حتى كشف المحقق الأميركي ستيوارت باون عام 2014 عن نقل مليارات الدولارات من بغداد إلى لبنان وتم حفظها نقدا في منطقة بيروت الخاضعة لحزب الله. هذه الحكاية ليست بعيدة في الجوهر عن قصة قتل الزعيم الشيعي أحمد الجلبي بالسم في الثالث من نوفمبر عام 2015، بعد تهديده بنشر ملفات سرقة ما بين 360 إلى 600 مليون دولار.

الاختلافات التي تحصل بين الأحزاب وميليشياتها لا تتعلق بالسياسة، بل بنسب الحصص بنهب مليارات الدولارات في مراكز الوزارات وفي موارد الموانئ والمنافذ الحدودية، وقبول رئيس الوزراء "الشيعي" من عدمه مرتبط بالدرجة الأساس بمدى غض نظره عن مسلسل النهب.

الخطيئة الكبرى التي ارتكبتها الولايات المتحدة في احتلالها للعراق هي في تسليمها مفتاح بغداد لطهران؛ سمحت لها لثماني سنوات بإرساء قواعد مشروعها الطائفي بإشاعة الكراهية والحقد والثأر والتغيير الديموغرافي تحت أوهام أن العرب السنة يريدون إزاحة نظام الحكم وإبعاد المجتمع العراقي عن المطالبة بحقوقه، عن طريق إلهاء فئات كثيرة منه باحتراب طائفي مزيّف. لكن انتفاضة الشعب في الأول من أكتوبر 2019 رغم التجميد الحالي لتحركاتها بسبب تفشي فايروس كورونا هي القوة الهائلة التي ستعيد بغداد من اختطافها.

حدود المستعمرة الإيرانية الجديدة

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

عندما نقلّبُ صفحات التاريخ فإننا لا نقدم للأجيال اللاحقة دروسا من إخفاقات الأجيال التي سبقتها ومن نجاحاتها، فقط، بل لنتعلم نحن، قبلها، لكي نرسم طريقنا الآمن للوصول إلى أهدافنا، الشخصية أو الوطنية، ونحن بأحسن حال.

ولكن الذين لا يقرأون ولا يتعلمون ممن كان قبلهم يعيشون أسرى خيالاتهم وأحلامهم وحدها، كمن يسير في ظلام بلا دليل. وقادة النظام الإيراني من أولئك الذين اختاروا أن يسجنوا عقولهم وقلوبهم وضمائرهم في كهوف الأساطير الميتة والخيالات الخائبة.

فهم، كما يبدو، لا يريدون أن يتعلموا مما مرَّ بالعراق من عواصف وزلازل عبر تاريخه الطويل، ولا مما فعله العراقيون بالجيوش الغازية التي كانت منها، أقواها وأكبرَها، الإمبراطورية الفارسية التي خرجت منه وهي منتوفة الريش يكللها العار والدخان والغبار، وأخبارُ هزائمها قائمة إلى يوم يُبعثون.

وحين كنا نكتب ونؤكد أن العراق أصبح مستعمرة إيرانية كانت تهبّ علينا عواصف الضغينة والاتهامات بالطائفية والعمالة من خدم النظام الإيراني منكرين أنه احتلال، وداعين له بطول العمر وحسن الإقامة والسلامة، ولا يخافون ولا يستحون.

حتى حلّ علينا، أخيرا، وريثُ القتيل قاسم سليماني المدعو إسماعيل قاآني لا زائرا متعففا رحيما مُنصفا يتفقد جيرانه ويبادلهم الود بالود والثقة والاحترام، بل جاء محتلا حاملا عصا وليه الفقيه يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه، وله فيها مآرب أخرى. ومؤكد أن أصغر عراقي قد علم بما فعله قاآني، وما تحدث به مع خدمه العراقيين.

فقد تحدثت تسريبات من داخل الغرف المغلقة عن مهمته التي تمثلت في اجتماعاته السرية مع "المجاهدين" هادي العامري ونوري المالكي وفالح الفياض وقيس الخزعلي، والتي قَصَرها، حصريا، على ملف رئيس وزراء العراق الجديد، وعلى حرب المواجهة التي يريد من ميليشيات خدمه العراقيين أن يُشعلوا نيرانها، هم فقط، وأن يتحملوا هم وشعبهم أوزارها، وهم صاغرون.

فإسماعيل قاآني جاء متدخلا في ما لا يعنيه من أمور العراق والعراقيين الوطنية الخاصة، ومُبلغا من كبر مقامُه أو صغر في العراق السليب بأن دولة وليه الفقيه "ستمنع أي شخص معادٍ لإيران من الوصول إلى رئاسة الوزارة في العراق". وكان قد سبقه الأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، علي شمخاني، الذي زار المستعمرة الإيرانية العراقية في مطلع مارس الماضي، للغاية ذاتها، وفشل.

وفي أعقاب الزيارتين المعيبتين هاتين خرج علينا رئيس أركان الجيش الإيراني اللواء محمد باقري، بتصريح فجّ ومليء بقلة الذوق والخلق وبموت الضمير والدين، ليضع النقاط على حروفها ويقول إن "التحركات الأميركية الأخيرة في المنطقة، إذا كانت لديها أدنى نوايا سيئة تجاه أمن (بلادنا) فسوف تُواجه بأشد ردود الأفعال من قبل الحشد الشعبي والحرس الثوري". والثابت أن ميليشيات الحشد الشعبي المرتبطة بالحرس الثوري الإيراني أصبحت حكومية عراقية ويتقاضى مسلحوها رواتبهم من خزينة الدولة العراقية ستة مليار دولار سنويا، عدا الأسلحة والتجهيزات ونفقات الإعاشة.

والأهم والأخطر في تصريحه هذا هو قوله " لقد أصدرنا أمرنا لهم بضرب قواتهم (الأميركان) في العراق".

ثم يهدد قائلا إن "استمرار بقاء القوات الأميركية في العراق رمزٌ لانتهاك السيادة الوطنية العراقية، وإذا لم تكن الإدارة الأميركية ملتزمة بالقوانين الدولية، فعليها أن تتقبل تبعات وجودها غير القانوني في الأراضي العراقية، وإن السياسة العامة لحكومة إيران تتمثل في الدفاع عن الحكومة العراقية وحقوقها القانونية".

إن هذا الإعلان لم يأت "نقلا عن"، ولا بطريقة "ذكرت مصادر مقربة" ولا "صرح مصدر رفض ذكر اسمه"، بل هو إقرار واضح وصريح وبعظمة لسان واحد في منزلة محمد باقري بين القادة الإيرانيين، بأن العراق مستعمرة إيرانية خالصة. وعلى من ينكر هذه الحقيقة أن يشرب من البحر، وأن يركب أعلى ما لديه من خيول، وعلى السيادة الوطنية العراقية السلام.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk